المقدّمة:

علم المناسبات ومعرفة أسلوب الحذف (الاحتباك) موضوع مهمّ جدا في تفسير القرآن الكريم. علم المناسبات يدرس حكمة ترتيب الكلمات والآيات في القرآن الكريم. هذا علم مهم جدا لفهم سبب وضع كلمة أو آية في سياقها. هناك بعض العلماء المتخصّصون في تفسير القرآن الذين ركّزوا كثيرا في هذه المجال، مثل فخر الدين الرازي صاحب **"التفسير الكبير الذي سماه مفاتيح الغيب، وقد جمع فيه ما لا يوجد في غيره من التفاسير"** [1]. معرفة الحذف في القرآن مهم جدا لأن هذا يجعل قارئ القرآن يعرف لماذا بقى بعض الكلمات، وحذف كلمات أخرى.

هذا البحث يهدف أن يقدّم صورة واضحة لفهم علم المناسبات ووضع أمثلة تطبيقها للتوضيح، وأيضا يقدّم موضوع الاحتباك المتعلّقة بموضوع الحذف (في القرآن)، وستوضع مثال واضح مُلَوَّن لموضوع الاحتباك

هذا البحث ستجيب عن أسئلة مثل أهمّية علم المناسبات، وأهمّية الحذف، وبعض المشكلات التي تحدث عنما يكون هناك جهل عام في معرفة علم المناسبات والحذف

يرتكز هذا البحث على المنهج الاستقرائي، حيث يقوم الباحث بقراءة ما كتب في تفاسير بعض الآيات وأيضا بعض الكتُب التي تشرح موضوعي علم المناسبات والاحتباك.

5- محاور البحث:

- المقدّمة
- المحور الأول: علم المناسبات مع بعض الأمثلة
- المحور الثاني: أسلوب الاحتباك مع مثال واضح، والفروق في استخدام الكلمات القريبة في القرآن
- الخاتمة

1. المحور الأول: علم المناسبات

تعريف علم المناسبات لغةً: **"مصدر من ناسب يناسب مناسبة، ومادة "النون، والسين، والباء" تدور حول معنى: "اتصال شيء بشيء".**[2]

تعريف علم المناسبات في الاصطلاح العام: علّة الترتيب

تعريف علم المناسبات بتفصيل: **" وهو -كما يقول الإمام الرازي-: "علم عظيم، أودعت فيه أكثر لطائف علل وحكم ترتيب الآيات والسور"، ويُعنى هذا العلم باستقصاء الفوائد والحِكَم في ترتيب سور القرآن على النحو الذي نجده في المصاحف، ومعرفة مناسبة هذا الترتيب، كما يهتم بالبحث في مناسبة ورود الآيات القرآنية على نحو ما أنزلت عليه".** [3]

هناك بعض الآيات الذي تدل على نظام هذا النظام في القرآن، مثل:

{ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ } [القيامة: 17].

وقد يُفهم من الجمع هنا بمعنى جمع القرآن بترتيب السور والآيات، لأن عندما يكون هناك جمع سور وآيات، لازم يكون هناك ترتيب لهذه السور والآيات، فينبغي أن يكون هذا الجمع أنسب جمعا، وإن لا يكون هذا الجمع منظّما، فيحصل مشكلات مثل خلط الآيات خارج سياقها وخارج سورتها، لكن القرآن بفضل الله جمع في أحسن ترتيب. نرى بأن ترتيب السور مناسبة: مثل ابتداء القرآن بسورة الفاتحة، بالحمد والثناء والخشوع والدعاء للهداية إلى الصراط المستقيم. ثم بعد ذلك يأتي سورة البقرة، التي تتكلم عن عدم الريب في هذا الكتاب وأنه هدى للمتقين، ثم بعد ذلك يفصّل صفات المؤمن الحقيقي، ثم المنافق إلخ...

يعني إذا بدأ القرآن بسورة مثل سورة التوبة، هذا لا يكون مناسبة مثل ابتداء القرآن بسورة الفاتحة.

هذا علم مهم جدا، لكن للأسف، كان هناك اهتمام قليل لهذا العلم:

"ومع أن علم المناسبات علم شريف -كما يقول الإمام السيوطي- بَيْدَ أن القليل من أهل العلم من اهتم به؛ وذلك لدقة هذا العلم، وحاجته لغير قليل من النظر والتأمل؛ ومن أشهر من اعتنى بهذا العلم وألف به، الإمام برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي المتوفى سنة (885هـ) إذ ألف كتابًا سماه (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) وهذا الكتاب عمدة في هذا الباب؛ فقد ذكر فيه مؤلِّفه وجوه المناسبات بين السور والآيات، وغير ذلك من وجوه المناسبات، بشكل موسع ومفصل". [4]

للأسف، نحن نرى بالذات في أيامنا كثير من الناس يحاولون الاهتمام في مواضيع الفقه والحلال والحرام، لكننا نرى قلة الناس يهتمون بعلم المناسبات وعلوم أخرى متعلّقة بعلوم تفسير القرآن. أقول بأن الاهتمام بالعلوم المتعقلة بتفسير القرآن مهم جدا، لأن الاهتمام بها يجعلنا نفقه قيمة الإعجازات في القرآن، بالذات الإعجازات اللغوية (مثل الاحتباك ونحو ذلك) والإعجاز في نظام القرآن. معرفة هذه الإعجازات يجعل إيماننا بالإسلام أقوى، لأن القرآن هو المصدر الأول في الإسلام، والقرآن يُتلى كل يوم في الصلاة والنوافل والفجر ورمضان وغير ذلك من الأوقات، والمسلم الذي يدرك هذه الإعجازات سيذوق نسبة أكثر من حلاوة التدبّر مُقارنَة بالناس الآخرين الذين لم يدركوا هذه الإعجازات ويقرؤون القرآن بغير فهم ولا تدبر. المعرفة بهذه العلوم مفتاح للتفكر والتدبر بالقرآن الكريم.

هناك مثال جيد لعلم المناسبات، وهو مثال متعلّق بمسالة النسخ:

{ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [البقرة: 106]. بعض المفسرون قالوا بأن النسخ في هذه الآية قد تدل على النسخ في التلاوة. لكن بعض العلماء الآخرون أنكروا وجود النسخ في التلاوة، وقالوا بأنه قد يراد من النسخ هنا النسخ في الآيات العامّة. وقد فصّل محمد رشيد رضا صاحب تفسير المنار في هذه المسألة وقال بأن الآيات المنسوخة قد تكون بمعنى الآيات التكوينية، ونقل محمد رشيد رضا كلام أستاذه محمد عبدو في تفسيره:

> **"الأستاذ الإمام: هذا تقرير ما جرى عليه المفسّرون في الآيات. وإذا وازنا بين سياق آية { مَا نَنسَخْ } وآية{ وَإِذَا بَدَّلْنَآ آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ } [النحل: 101] نجد أن الأولى خُتمت بقوله تعالى: { أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } والثانية بقوله:{ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوۤاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍ } [النحل: 101] ونحن نعلم شدّة العناية في أسلوب القرآن بمراعاة هذه المناسبات. فذكر العلم والتنزيل ودعوى الإفتراء، في الآية الثانية يقتضي أن يراد بالآيات فيها آيات الأحكام.**
>
> **وأمّا ذكر القدرة والتقرير بها في الآية الأولى فلا يناسب موضوع الأحكام ونسخها، وإنّما يناسب هذا ذكر العلم والحكمة فلو قال: (ألم تعلم أن الله عليم حكيم) لكان لنا أن نقول إنّه أراد نسخ آيات الأحكام لما اقتضته الحكمة من إنتهاء الزمن أو الحال التي كانت فيها تلك الأحكام موافقة للمصلحة. وقد تحيّر العلماء في فهم الإنساء على الوجه الذي ذكروه، حتى قال بعضهم: إن معنى (ننسها) نتركها على ما هي عليه من غير نسخ. وأنت ترى أن هذا وإن صحّ لغة لا يلتئم مع تفسيرهم، إذ لا معنى للإتيان بخير منها مع تركها على حالها غير منسوخة. قال: والمعنى الصحيح الذي يلتئم مع السياق إلى آخره: إنّ الآية هنا هي ما يؤيّد الله تعالى به الأنبياء من الدلائل على نبوّتهم، أي { مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ } نقيمها دليلا على نبوّة نبي من الأنبياء، أي نزيلها ونترك تأييد نبي آخر بها، أو ننسها الناس لطول العهد بمن جاء بها، فإنّنا بما لنا من القدرة الكاملة والتصرّف في الملك، نأتي بخير منها في قوّة الإقناع وإثبات النبوّة أو مثلها في ذلك.** (5)

هنا قد أتيت بكلام طويل، لكنني سأوضّح ما الغاية من هذا الكلام التي تتعلّق بعلم المناسبات: آية النسخ تنتهي ب "أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ". محمد عبدو يقول بأن هذه الآية متعلّقة بمسألة القدرة، والقدرة متعلّقة بالآيات التكوينية أكثر من نسخ الآيات التي تتلى، أو النسخ في الأحكام في الآيات التي تتلى وما أشبه ذلك لأنه لو كان الآية فعلا متعلّقة بمسألة نسخ الأحكام لانتهى الآية ب "أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ". هذه الأسلوب "عَزِيزٌ حَكِيمٌ" مستخدمة في العديد من الآيات، لكن الله تعالى اختار استخدام العبارات "عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" على العبارات "عَزِيزٌ حَكِيمٌ" في الآية التي تخصّ النسخ.

علم المناسبات يتعلّق بمسائل عديدة في الأحكام، مثل مسألة حدّ الرجم المتعلّقة بمسألة النسخ أيضا لأنه قيل بأنه كان هناك آية نسخت في التلاوة وبقى حكمها، وسأنتقد ذلك لاحقا مع العلم بأنَّنِي لن أؤمن بالنسخ في التلاوة أبدا.

أودّ أن أذكّر بأنَّ الكثير مما أقوله هنا يوجد فيه خلاف كبير، وبعض الكلام الذي أتيت به من عندي بعد البحث العميق في هذه المسألة، وبعد البحث في المسألة أنا أنكر حدّ الرجم إلى هذا اليوم.

هناك مثال ثانٍ يتعلّق بمسألة علم المناسبات. هناك آية تفرّق بين العذاب والذَّبح (أي القتل):{ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ } [النمل: 21]. قال الشعراوي في تفسير سورة 27 النمل: الآية 21:

> **ثم رقَّ الأمر من العذاب الشديد إلى الذبح، وهذه المسألة أثار حولها المتمردون على منهج الله والذين يريدون أنْ يُعدِّلوا على الله أحكامه، أثاروا إشكالاً حول قوله تعالى في حَدِّ الزنا:{ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ.. } [النور: 2] أما الرَّجْم فلم يَرِدْ فيه شيء، فمن أين أتيتم به؟ نقول أتينا به أيضاً من كتاب الله، حيث قال سبحانه في جَلد الأمَة إنْ زنتْ وهي غير محصنة:{ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَاتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ.. } [النساء: 25] فقالوا: وكيف نُنصِّف حدَّ الرجم؟ وهذا القول منهم دليل على عدم فهمهم لأحكام الله. فالمعنى { فَعَلَيْهِنَّ.. } [النساء: 25] أي: على الإماء الجواري{ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَاتِ.. } [النساء: 25] الحرائر، ولم يسكت إنما خصص التنصيف هنا بالجَلْد، فقال:{ مِنَ ٱلْعَذَابِ.. } [النساء: 25] فتجلد الأَمَة خمسين جلدة، وهذا التخصيص يدلُّ على أن هناك عقوبة أخرى لا تُنصف هي الرجْم.** [6]

هنا الشعراوي تكلّم باختصار عن اختلاف المعنى بين العذاب والذبح، وفي هذه المسألة دخل في مسألة الرجم، لأن بعض المعتزلة والخوارج (وأنا أتفق معهم في هذه المسألة) استدلوا بالفرق بين الذبح والعذاب لانتقاد حكم الرجم لأن هناك آية:

{ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَٰتِ الْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ الْمُؤْمِنَٰتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ

مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَٰتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } [النساء: 25].

الآية تتكلّم عن أحكام نكاح ملك اليمين، والجزء من الآية المهمّة في مسألة الفرق بين العذاب والذبح هو: "فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَٰتِ مِنَ الْعَذَابِ"

طبعا، استخدام كلمة "الْعَذَابِ" هنا تدلّ على أن الرجم لا تقوم على "الْمُحْصَنَٰتِ" في هذا السياق لأن انتصاف حد الرجم مستحيل، لأن الذين يستحقّون الرجم يُرجمون حتى الموت.

لكن هناك مسألة ثانية، وهي أنّ كلمة المحصنات كلمة مُشكل، قد تكون معناه الحرائر، وقد تكون معناه العفائف، وقد تكون معناه المتزوّجات. باختصار، الشعراوي يقول بأن المقصود من المحصنات في سياق العذاب هنا بمعنى الحرائر، وليس المتزوّجات لأنّ المتزوّجات اللاتي يأتين الفاحشة قد يكون عليهن حد الرجم (حسب التفسير).

قد تكلّم فخر الدين الرازي في تفسير سورة 4 النساء الآية 25 في مسألة إشكال معنى المحصنات مع أن حد الرجم لا ينتصف، وسماه "**إشكال قوي**":

> **المسألة الثانية: في الآية إشكال قوي، وهو أن المحصنات في قوله: { فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ } إما أن يكون المراد منه الحرائر المتزوجات، أو المراد منه الحرائر الأبكار. والسبب في إطلاق اسم المحصنات عليهن حريتهن. والأول مشكل، لأن الواجب على الحرائر المتزوجات في الزنا: الرجم، فهذا يقتضي أن يجب في زنا الاماء نصف الرجم، ومعلوم أن ذلك باطل. والثاني: وهو أن يكون المراد: الحرائر الأبكار، فحينئذ يكون هذا الحكم معلقا بمجرد صدور الزنا عنهن، وظاهر الآية يقتضي كونه معلقا بمجموع الأمرين: الاحصان والزنا، لأن قوله: { فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ } شرط بعد شرط، فيقتضي كون الحكم مشروطا بهما نصا، فهذا إشكال قوي في الآية. والجواب: أنا أَختار القسم الثاني، وقوله: { فَإِذَا أُحْصِنَّ } ليس المراد منه جعل هذا الاحصان شرطا لأن يجب في زناها خمسون جلدة، بل المعنى أن حد الزنا يغلظ عند التزوج، فهذه إذا زنت وقد تزوجت فحدها خمسون جلدة لا يزيد عليه، فبأن يكون قبل التزوج هذا القدر أيضاً أولى، وهذا مما يجري مجرى المفهوم بالنص، لأن عند حصول ما يغلظ الحد، لما وجب تخفيف الحد لمكان الرق، فبأن يجب هذا القدر عند مالا يوجد ذلك المغلظ كان أولى والله أعلم. المسألة الثالثة: الخوارج اتفقوا على إنكار الرجم، واحتجوا بهذه الآية، وهو أنه تعالى أوجب على الأَمَةِ نصف ما على الحُرَّة المُحْصَنَة، فلو وجب على الحرة المحصنة الرجم، لزم أن يكون الواجب على الأمة نصف الرجم وذلك باطل، فثبت أن الواجب على الحرة المتزوجة ليس إلا الجلد، والجواب عنه ما ذكرناه في المسألة المتقدمة، وتمام**

الكلام فيه مذكور في سورة النور في تفسير قوله: { ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ } [النور: 2]. [7]

طبعا الشعراوي والرازي يؤمنون بحدّ الرجم، لكنني أنكر حد الرجم لعدّة أسباب سيأتي التفصيل فيه لاحقا

بعدما قرأت في المسألة، أرى أن معنى "الْمُحْصَنَـٰتِ" في الآية 25 من سورة النساء تعني الحرائر المتزوجات وليس الحرائر الأبكار لعدة أسباب:

1) مع أنَّ القرآن فصّل تفصيلا واضحا في مسائل حدود الزنا والفاحشة، لم يذكر القرآن حدّ الرجم أبدا، بل القرآن في بعض المواضع ذكر أن بعض أعداء أهل الحقّ (مثل الأنبياء) يهدّدون بالرجم، مثل:

{ قَالُوا يَـٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَـٰكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ } [هود: 91].

{ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَـٰإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا } [مريم: 46].

{ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ } [يس: 18].

2) لو فسَّرنا "أُحْصِنَّ" بمعنى الزواج مع الدخول لملك اليمين (وهذا التفسير هو الأرجح عندي) في الآية 25 من سورة النساء، المحصنات (المتزوجات) من ملك اليمين في "فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَـٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَـٰتِ مِنَ الْعَذَابِ" يقابل ماذا؟ هل الأرجح أن يقابل الحرائر الأبكار غير المتزوجات مع أنَّ ملك اليمين متزوجات؟ أم الأرجح أن يقابل الحرائر المتزوجات؟ عندي الأرجح أن يقابل الحرائر المتزوجات لأن الأفضل أن يقَارن عذاب الحرّة بمِلكِ اليمين في نفس الحال (متزوجات) بدلا من أن تقارن بين ملك اليمين المتزوجات مع الحرائر غير المتزوجات في نسبة العذاب، ومع هذا، يصبح إشكالية حدّ الرجم أكبر

الآيات 15-18 من سورة النساء تتعلّق بمسألة الرجم:

وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا(15) وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا(16) إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا(17) وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا(18) [النساء: 15-18].

تحليل بعض معاني الكلمات في الآيات:

"وَاللَّاتِي": يدلّ على أنه توجد 3 أو أكثر من النساء، وهذا ينتقد الزعم بأن "الفاحشة" في الآية 15 بمعنى السحاق، وفي الآية 16 بمعنى اللواط لأن استخدام "وَاللَّاتِي" بالجمع واستخدام "وَاللَّذَانِ" يدل على اختلاف العدد، فلو كان معنى الفاحشة في الآية 15 بمعنى السحاق، لكان ينبغي للآية 15 أن تبدأ بالقول: "واللَّتَانِ" بدلا من "وَاللَّاتِي" لأن "واللَّتَانِ" يتناسق مع "اللذان" في الآية 16

"يَأْتِينَ": الفعل أتى بصيغة المضارع، والمضارع عادة قد يفيد الاستمرار. فقد يكون معنى "يأتين" في هذه الآية بمعنى إتيان الفاحشة باستمرار، وليس إتيانها مجرّد مرة واحدة فقط. والذي قد يجعل هذه الحجّة أقوى أنّه توجد آية أخرى تتكلم عن إتيان الفاحشة بصيغة الماضي:

{ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَـٰتِ الْمُؤْمِنَـٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُم مِّن فَتَيَـٰتِكُمُ الْمُؤْمِنَـٰتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِكُم بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَـٰتٍ غَيْرَ مُسَـٰفِحَـٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَـٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَـٰتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } [النساء: 25].

هنا نرى أنه قيل في الآية: "فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَـٰحِشَةٍ" بدلا من "فإن يأتين بفاحشة" أو "فإن يأتين بالفاحشة" (ب"ال التعريف). وقد نستدل من ذلك أن الآية 15 في سورة النساء "يَأْتِينَ" بمعنى إتيان الفاحشة باستمرار، و"أَتَيْنَ" في الآية 25 في سورة النساء بمعنى إتيان الفاحشة مرة واحدة.

لهذا، كان الحدّ لإتيان الفاحشة باستمرار للمتزوّجة من الحرائر: "وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ" حدّ الإمساك في البيوت حتى الموت أو "يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا" أي سبيل الخروج سبيل التوبة وإشارات التوبة النصوحة وسيأتي التفصيل في هذه المسألة لاحقا، والحدّ لملك اليمين في "فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ" هو "فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ"، والحدّ هنا مخفَّف لملك اليمين المتزوجات (بدليل: "فَإِذَا أُحْصِنَّ" أي فإذا تزوّجن) مقارنة بالحرائر المتزوجات (سيأتي الدليل على معناه "المتزوجات" لاحقا) .للحرائر المتزوجات وغير المتزوجات مئة جلدة كما في سورة النور، لإتيان الزنا مرة واحدة.

"مِنْ نِسَائِكُمْ": أي من أزواجكم. نرى استخدام "نسائكم" بمعنى أزواجكم في العديد من الآيات مثل:

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ...﴾ [البقرة: 187].

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ...وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ الَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ الَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ...﴾ [النساء: 23].

فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ: "حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ" بسبب استمرارهن بإتيان الفاحشة.

أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا: زعم البعض بأن السبيل هنا سبيل "النسخ" (أي هذا الحكم سيكون منسوخا وحكم الرجم سيكون ناسخا)، وأرى أن ذلك التفسير بعيدا جدا عن المقصود (طبعا، أنا تكلّمت عن بعض الأشياء في مسألة النسخ، وأرى أنه يوجد انحراف كبير في مسألة النسخ بشكل عام).

أرى أن السبيل هنا هو سبيل التوبة والعودة إلى التقوى، وإشارات قوية إلى توبتها النصوحة مهمّة كي لا تهرب من العقاب بنفاق وخدعة الناس وتستمر في إتيان الفاحشة. سنرى في الآية التالية:

وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا(16) [النساء: 16].

لاحظ أنَّ الله أمَرنا أن نعرض عن اللذان يأتيان الفاحشة وتابا، وكذلك يوجد سبيل الخروج من البيوت للنساء اللاتي تُبْنَ بعد إتيان الفاحشة.

والذي يؤيّد ما نقوله في تفسير "أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا" هو أنَّ الآيات التي تليها تتكلم عن شروط قبول التوبة:

إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا(17) وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا(18) [النساء: 17-18].

لاحظ أنّ الآيتين تأتيان بعد حدّ الرجل والمرأة لإتيان الفاحشة مباشرة، فما حكمة ذلك؟ ربّما (وهذا ما أراه) وُضع هاتين الآيتين في هذا السياق ليثبت أنَّ الإعراض عن الذين يأتون الفاحشة فقط عندما نرى إشارات التوبة النصوحة من الذين ارتكبوا هذه الجريمة.

إذن، سألخّص ما قلته في موضوع التوبة:

1 "أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا" بمعنى سبيل الخروج من البيوت بعد التوبة النصوحة وإشاراتها

2 في الآية التي يليها نرى: "فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا"، وأيضا هنا بعد التوبة النصوحة وإشاراتها

3 الآيتين بعد الآية 16 يؤيّد القول بأنَّ سبيل الخروج في "أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا" هو التوبة

قول بسيط في مسألة النسخ في التلاوة والرجم:

لدي الكثير مما لم أذكره من أدلتي على إنكار حدّ الرجم لأنني لا أريد أن أطيل في المسألة، لكن آخر شيء أريد أن أذكره هو أنه قيل بأن هناك آية كانت تُقرأ، ثم نسخت الآية تلاوة وبقى حكمها:

"حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ، قَالاَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَطُولَ بِالنَّاسِ زَمَانٌ حَتَّى يَقُولَ قَائِلٌ مَا أَجِدُ الرَّجْمَ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَيَضِلُّوا بِتَرْكِ فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ أَلاَ وَإِنَّ الرَّجْمَ حَقٌّ إِذَا أُحْصِنَ الرَّجُلُ وَقَامَتِ الْبَيِّنَةُ أَوْ كَانَ حَمْلٌ أَوِ اعْتِرَافٌ وَقَدْ قَرَأْتُهَا الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا الْبَتَّةَ . رَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَرَجَمْنَا بَعْدَهُ." (سنن ابن ماجة الحديث 2553 من باب الرجم)

يوجد مشاكل كثيرة في القول بأنه كان هناك آية كانت تقرأ ثم نسخت وبقى حكمها:

1) لا ينبغي أن تنسخ آية في تلاوتها حتى وإن كان حكمها منسوخة، مثل الآيات في الخمر:

{ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ...} [النساء: 43].

{ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا...} [البقرة: 219].

2) لو كان هناك حكم ناسخ ومنسوخ في حدّ الرجم لكان ينبغي أن يبقى آية الرجم تُتلي، والآية 15 من سورة النساء (إمساك النساء المتزوجات في البيوت) تكون منسوخة تلاوة لأنه الأرجح (لو كان زعم النسخ في التلاوة صحيح، مع أنني لن أؤمن به أصلا) للآية التي لديها الحكم الباقي (الناسخ) أن تبقى مقروءة والآية التي حكمها منسوخة أن لا تقرأ لأن أهمّيته أقل

يوجد مشاكل في متن ما قيل في الآية المنسوخ تلاوة:

"الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا الْبَتَّةَ"

1) "الشيخ" في كل المواضع في القرآن يُذكر بمعنى الرجل الكبير في السنّ، ولا يُذكر بمعنى المتزوج في القرآن أبدا. أما "الشيخة" فليس مذكورة أبدا في القرآن، والكلمة ليست صحيحة أصلا لأن الكلمة الصحيحة هي "عجوز" كما في القرآن التي تذكر للمرأة الكبيرة في السن:

{ قَالَتْ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَـٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَـٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ } [هود: 72].

2) المفروض الكلمة "إذا" لا تأتي قبل "زَنَيَا" لأن "إذا" لا تفيد الشك وإنما الأرجح أن يقال: "إن زنيا". والقرآن لا يقع في مشاكل لغوية مثل هذا، وقد رأينا استخدام "إِنْ" في القرآن قبل إتيان الفاحشة في الآية 25 من سورة النساء:

{...فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَـٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَـٰتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } [النساء: 25].

3) قيل بأن كلمة "الْبَتَّةَ" كلمة أعجمية عن القرآن (قول عدنان إبراهيم: وأنا أتفق معه في هذا)، لم يذكر أبدا في القرآن ويوجد كلمات أخرى مثل "كُلَّ وَٰحِدٍ" في {...فَاجْلِدُوا كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ...} [النور: 2] في حد الزنا. هذا اللفظ "كُلَّ وَٰحِدٍ" قد يستعمل لانتقاد حدّ الرجم لأن الكلّ لديهم حد الجلد وليس حدّ الرجم.

2. المحور الثاني: أسلوب الاحتباك

تعريف الاحتباك لغةً: "**الاحتباك من الحبك ومعناه ((الشدُّ والإحكام وتحسين أثر الصنعة في الثوب))**" [8]

تعريف الاحتباك اصطلاحا: "**أما في الاصطلاح البلاغي فقد بَيَّنَ الإمام جلال الدين السيوطي الصّلة بينه وبين المعنى اللغوي فقال: ((مأخذ هذه التسمية من الحبك الذي معناه الشد والأحكام وتحسين أثر الصنعة في الثوب فحبك الثوب سد ما بين خيوطه من الفرج وشده وإحكامه بحيث يمنع عنه الخلل مع الحسن والرونق وبيان أخذه منه من أن مواضع الحذف من الكلام شبهت بالفرج بين الخيوط فلما أدركها الناقد البصير بصوغه الماهر في نظمه وحوكه فوضع المحذوف مواضعه كان حابكا له مانعا من خلل يطرقه فسد بتقديره ما يحصل به الخلل مع ما أكسبه من الحسن والرونق)).**" [9]

عُرّف الاحتباك بأكثر من اسم. لكن كل "**من جاء بعد الجرجاني سمَّاه (الاحتباك)، وقال عنه البقاعي – رحمه الله – (ت 855 هـ) في أحد المواضع((أن يؤتي بكلامين يحذف منهما شيءٌ إيجازًا، يدل ما ذكر على ما حذف من الآخر))**". [10]

سأضع أوضح مثالا على أسلوب الاحتباك:

قال تعالى:

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَـٰتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَـٰرِ﴾ [آل عمران: 3:13]

1 ذكر ﴿فِئَةٌ﴾ في الأول والمعنى: "فِئَةٌ مُؤْمِنَةٌ"، لكن لم يذكر كلمة "مُؤْمِنَةٌ".

ذكر ﴿كَافِرَةٌ﴾ في الثاني والمعنى: "وَأُخْرَىٰ فِئَةٌ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم"، لكن لم يذكر كلمة "فِئَةٌ".

2 ذكر ﴿فِئَةٌ تُقَـٰتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ في الأول.

لم يذكر عكس القتال في سبيل الله في هذه الآية، والمعنى قد يكون:

1 "وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ تُقَـٰتِلُ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ يَرَوْنَهُم"، لكن لم يذكر "تُقَـٰتِلُ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ".

2 "وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ تُقَـٰتِلُ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ يَرَوْنَهُم"، لكن لم يذكر "تُقَـٰتِلُ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ".

وقد يُرجَّح الأول لأنه يوجد آية يذكر القتال ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ والقتال ﴿فِي سَبِيلِ الطَّـٰغُوتِ﴾:

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَـٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَـٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّـٰغُوتِ فَقَـٰتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَـٰنِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: 76]

الكلمات التي ننظر إليها:

1 ﴿فِئَةٌ﴾ و "فِئَةٌ"

2 "مُؤْمِنَةٌ" و ﴿كَافِرَةٌ﴾

3 ﴿تُقَـٰتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ و "تُقَـٰتِلُ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ"

الآن قد يسأل سائل: لماذا ذكر في الأولى ﴿فِئَةٌ تُقَـٰتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لكنه لم يذكر "مُؤْمِنَةٌ"، وفي الثاني ذكر ﴿كَافِرَةٌ﴾ لم يذكر "فِئَةٌ" ولا "تُقَـٰتِلُ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ"؟

أجيب وأقول:

1 ذكر ﴿فِئَةٌ﴾ للمؤمنين أكثر فائدة من ذكر "فِئَةٌ" للكفار لأن المؤمنين هم أحسن من الكفار. إذن، ذكر ﴿فِئَةٌ﴾ للفريق الإيجابي أفضل. وقد يقول قائل بأن هناك عدم الحاجة إلى تكرار الكلمة فئة إذا ذكر مرة واحدة في السياق في الأول، لكن الأمر ليس واضحا لأن هناك الأمثلة الكثيرة من التأكيد والتكرار في القرآن حتى في نفس الآية.

2 ذكر ﴿تُقَـٰتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ سبيل الحق الإيجابي أكثر فائدة من ذكر السبيل السلبي إذا كنت لديك الخيار بين ذكر واحد من السبيلين فقط. إذن، لا قيمة لسبيل الشيطان، إسقاطها في الكلام هو إسقاطها في الواقع:

{ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَـٰطِلُ إِنَّ الْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا } [الإسراء: 81]

3 لم يذكر "مُؤْمِنَةٌ" لكنه ذكر ﴿كَافِرَةٌ﴾ لأنّه

أولا: لو ذُكر "مُؤْمِنَةٌ" ولم يذكر ﴿كَافِرَةٌ﴾ لكان هناك إشكال في المعنى، ولكان أصعب الفهم بأن الفئة الثانية كافرة، فهنا ذكر ﴿كَافِرَةٌ﴾ أكثر أهمّية لسبب إزالة الإشكال والتوضيح.

ثانيا: لم يذكر "مُؤْمِنَةٌ" لأنه ذكر الصفة العليا ﴿تُقَـٰتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، فاكتفى القرآن بذكر ذلك، ولا حاجة في ذكر صفة "مُؤْمِنَةٌ" لأنه يُفهم بأنَّ الفئة مؤمنة إذا كانت ﴿تُقَـٰتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أصلا.

وللاحتباك فائدة كبير، غير المثال الذي ذكر، وهو اقتصار الكلام بدون ضياع المعنى المهم:

الكلمات في الآية بدون أسلوب الاحتباك، قد يقول قائل بأن الكلام زاد بدون فائدة:

الكلمات الزائدة:

1 "مُؤْمِنَةٌ"

2 "فِئَةٌ"

3 "تُقَـٰتِلُ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ"

هذه شكل الآية (ليست الآية الأصلية) عندما نوضع الكلمات الزائدة فيها:

"قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ مُؤْمِنَةٌ تُقَـٰتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ فِئَةٌ كَافِرَةٌ تُقَـٰتِلُ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَـٰرِ"

وهذه الآية الأصلية:

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَـٰتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَـٰرِ﴾ [آل عمران: 3:13]

الفروق في استخدام الكلمات القريبة في القرآن:

1) اللاتي واللائي

استُعمل اللائي في حالتَي الظهار والطلاق (عدة الطلاق) فقط، عندما يكون هناك وجود صراع أما في بقية الآيات استُعمِل "اللاتي"

قال السَامِرَّائي:

الهمزة ثقيلة في اللغة، فاسْتَعمل اللائي في الظهار والطلاق التي هي ثقيلة

{ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ الَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ... } [الأحزاب: 4]

{ الَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا الَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ... } [المجادلة: 2]

{ وَالَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ...} [الطلاق: 4]

2) الَّذِينَ كَفَرُواْ، الْكَافِرُونَ، الْكُفَّار:

عندما نظرت إلى ألفاظ: الَّذِينَ كَفَرُواْ، الْكَافِرُونَ، الْكُفَّار: لاحظت أن مثلا أن غالبا، كأن اللفظ "الَّذِينَ كَفَرُواْ" أبعد من الكفر من "الْكَافِرُونَ" و"الْكَافِرُونَ" أبعد من الكفر من "الْكُفَّار". نلاحظ أن "الْكُفَّار" يُستَعْمَل كثير في سياقات الحرب، والله تعالى يقول:

{ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَٰتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَٰكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ } [آل عمران: 167]

أيضا، يقول تعالى في أكثر من موضع في القرآن: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ } فهم وُصِفوا بالذين كفروا، وكأنهم وصفوا بجمع التكسير "كفار" بعدما ازدادوا في الكفر طول حياتهم، مثل:

{ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ } [آل عمران: 90]

{ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا } [النساء: 137]

3) الفرق بين يَسْطِعْ وَيَسْتَطِعْ

المثال الأول:

يسطع يحتاج إلى أقل جهد من يستطع:

{ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا } [الكهف: 78]

{ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا } [الكهف: 82]

موسى عليه السلام عندما ينتظر الجواب، يكون أصعب عليه، فالاستطاعة ذكرت في الآية أما بعدما شُرح التأويلات، ذُكِرَ في الآية: ذلك تأويل ما لم تسطع

قال الشعراوي:

" هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ " دستور من الله على أنّ المذهبين لا يلتقيان، وكما قال تعالى:

{ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي...} [الكهف: 76]

المثال الثاني:

{ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا } [الكهف: 97]

أهل البلاغة يقولون الزيادة في المبني زيادة في المعنى

النقب أصعب من الارتفاع على ظهر السد

يَظْهَرُوهُ:

قال الطنطاوي في الوسيط: فما استطاع قوم يأجوج ومأجوج أن يرتفعوا على ظهر السد، أو يرقوا فوقه لملاسته وارتفاعه، وما استطاعوا - أيضاً - أن يحدثوا فيه نقبا أو خرقا لصلابته ومتانته وثخانته

الخاتمة:

أختم وأقول بأن أمثلة علم المناسبات والاحتباك هنا يجعلنا ندرك الإعجازات القرآنية. لقد اخترت هذا الموضوع لأنه مثال جيد على دقّة القرآن الكريم في اختيار الكلمات والترتيب الصحيح. إدراك هذه العلوم أيضا يجعل القارئ يستطيع أن يتذكّر ترتيب الآيات والكلمات أسهل. الهدف الأساسي من هذا البحث هو مقدّمة واضح لبعض العلوم الذي يعتمد عليها الكثير العلماء الذين ينتمون إلى مدرسة: تفسير أهل الرأي (هذه مدرسة غالبة لا تعتمد كثير على منهج التفسير بالمأثور)

الاحتباك يعتبر من إعجازات البلاغية في القرآن الكريم. هذه كتاب أحكمت وفصّلت بتمام الإحكام، كما قال تعالى:

{ الر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ } [هود: 1]. قال الآلوسي في تفسيره:
"﴿**أُحْكِمَتْ آياتُهُ**﴾ **أيْ نُظِمَتْ نَظْمًا مُحْكَمًا لا يَطْرَأُ عَلَيْهِ اخْتِلالٌ فَيَكُونُ فِيهِ تَناقُضٌ أوْ مُخالَفَةٌ لِلْواقِعِ والحِكْمَةِ أوْ شَيْءٌ مِمّا يُخِلُّ بِفَصاحَتِهِ وبَلاغَتِهِ**".[11] قد أتيت بهذا لأن علم البديع فرع في علم البلاغة، وموضوع الاحتباك موضوع متعلّق بعلم البديع.

الهوامش:

(1) أول كاتب: شافع (2006). آخر تعديل عبد الجليل (2020): ، "فخر الدين الرازي"، **موقع ويكبيديا**، رُجع إليه بتاريخ: 2021/5/21 وفق الرابط:https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%81%D8%AE%D8%B1_%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%8A%D9%86_%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%A7%D8%B2%D9%8A

(2) السيوطي، جلال الدين، محفوظة للناشر: 1433-2002م، علم المناسبات في السور والآيات، تحقيق: محمد بن عمر بن سالم بازحول، الطبعة الأولى، المكتبة المكيّة، مكة المكرمة، ص27

(3) إسلام ويب، 2016، **موقع إسلام ويب**، رجع إليه بتاريخ: 2021/5/21 وفق الرابط: https://www.islamweb.net/ar/article/58563/%D8%B9%D9%84%D9%85-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%86%D8%A7%D8%B3%D8%A8%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B1%D8%A2%D9%86%D9%8A%D8%A9

(4) المرجع السابق

(5) رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، **موقع التفاسير**، رجع إليه بتاريخ 2021/5/21 وفق الرابط:
https://www.altafsir.com/Tafasir.asp?tMadhNo=2&tTafsirNo=103&tSoraNo=2&tAyahNo=106&tDisplay=yes&Page=3&Size=1&LanguageId=1

(6) الشعراوي، متولّي، خواطر، **الموقع التفاسير**، رجع إليه بتاريخ 2021/5/21 وفق الرابط:
https://www.altafsir.com/Tafasir.asp?tMadhNo=7&tTafsirNo=76&tSoraNo=27&tAyahNo=21&tDisplay=yes&UserProfile=0&LanguageId=1

(7) الرازي، فخر الدين، مفاتيح الغيب، **موقع التفاسير**، رجع إليه بتاريخ: رجع إليه بتاريخ: 2021/5/21 وفق الرابط:
https://www.altafsir.com/Tafasir.asp?tMadhNo=0&tTafsirNo=4&tSoraNo=4&tAyahNo=25&tDisplay=yes&Page=8&Size=1&LanguageId=1

(8) رمضان، أحمد فتحي، تاريخ تسليم البحث: 2002/2/27م، الاحتباك في القرآن الكريم – رؤية بلاغية –، جامعة الموصل/ كلية الآداب، ص44

(9) المرجع السابق: ص45

(10) المرجع السابق

(11) الآلوسي، أبو الثناء، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، **موقع الفرقان**، رجع إليه بتاريخ 2021/5/21 وفق الرابط:

https://furqan.co/alaloosi/11/1